افكرُ مثل شجرة

عبد العظيم فنجان

عبد العظيم فنجان شاعر عراقي تولد الناصرية . لا ينتمي الى جيل شعري معين ، له عدة مخطوطات ودفاتر شعرية وروائية تنتظر الطبع ، وله اسهامات ثقافية وادبية في مختلف الصحف العراقية والعربية . ترجمت بعض قصائده الى عدة لغات ، منها الاسبانية والفارسية والانكليزية ، وهذه مجموعته الشعرية الاولى ، بعد طول صبر وتبئل .

اهداء :

الى الرائع عقيل علي ،
وفي حب سركون بولص ..

" ورأيتُ في منامي أني جالسٌ على دكة بابي ، ورأسي مقطوع ،
وهو بين يديّ ، وأنا أدوره ، وأضحك متعجبا من هذه الصورة
العجيبة :
كيف أن رأسي مقطوع ، وكيف أني – في نفس الوقت – أنظر
إليه ، حتى انتبهتُ .. "

العارف حيدر الأملي / مقدمة التفسير المحيط

أولا

كمن يبحث عن عينيه في الظلام

يدي

أقصى ما أستطيع حمله ،
هو يدي ..

ترنيمه الأبدية

الغناء ، من النافذة ، يستطلع وصول المغني .
قبله وصلت الكلمات ،
أما اللحن فقد وصل حزينا :
تعثر عند السلام ، فسقطت منه نعمة .
المغني ، في طريقه إلينا ، صادفها ،
فأعادها بطريقة ما إلى الناي .

ها أنذا أسأله أن يدخلني بصحبتها
إلى
ترنيمه الأبدية .

قصيدة الأيام

الأيامُ التي تجرّ وراءها سلسلة طويلة من الأيام ،
وصلتْ .

كتفي صارت سياجا

من فرط العزلة سمعتُ ضجيج أصابعي :
جاورتُ نوافذَ يحجبني العراءُ عن قضبانها .

من فرط العزلة :
العشبُ الأبيض نبتَ على لحية الحديقة ،
وكتفي صارت سياجا ..

نوافذ

يسقط الليلُ على المنزل ، ليُثبتَ لنا أنَّ له نوافذ .

طفولة

في قعر كفي رواسبٌ من قمر تتلألاً ، كما من قعر بئر .

انظرُ أيها الصديق :
المرأةُ تمهر نواحيها ببصمة طفل .

الفراغ

بصحةٍ مِن سأنفقُ هذا الوقت ؟
كانت لديّ باقة من الطرق
ثم
فرقتها بين خطي امرأة .
كانت بي تلوذ المسرات ،
وكننتُ أهرُّ بها المهدي .

الآن
هذا كلُّ ما وقف ،
وكلُّ ما تحرك هو هذا :
الفراغ .

خريف التاج

للخريف منازلٌ ،
وأين ما حلَّ له تاجٌ ، فوق رأسه .
الليلُ العريقُ الأصولُ بالليل منزلٌ ،
وعابرُ السبيلِ تاجُه .
القنديلُ المكسور تاجٌ ،
والضوءُ الذي لم يقع على قنديل منزلُه .

وأنتَ ؟

أنتَ الخريفُ : منازلُه وتيجانه .

قصيدة الخائبات

من دواخلنا تتبضعُ النساءُ الخائبات .

متاهة

رجلٌ يتسلقُ سلما ،
وهو يحملُ على كتفيه سلما يتسلقه رجلٌ آخر .
عند نهاية كل سلم سلالم أخرى ،
وهناك رجالٌ يتسلقونها ، وعلى أكتافهم سلالم .
السلالم تؤدي إلى سلالم :
متاهة تفتح على متاهة ،
والأملُ
هو العثرات .

أمثال

كمن هَامَ بحب فاتليه .
كمن يسدّ قُوّهة بركان بفلينة .
كمن يسترُّ مَنْ يِشي بوبائه .
كمن يبحثُ عن عينيه في الظلام .
كمن هبطَ من شاهق عزلته ليشتري تاجا ،
فعاد
بدون رأس .

أسرار

كم كان قاسيا أن ألمسَ الجمرَةَ في راحة اليد ،
ثم أدّعي أنها موجة ؟
كم كان مؤلما أن ألمَّ الصديقَ الذي تناثرَ ،
وأن لا يلمني إلا عدوي ؟
كم كان صعبا أن لا يثمر الصفصافُ أبدا ،
وأن لا يمد الظلالَ إلا استجابة للطبيعة ؟
كم كان ..

لقد رأيتُ ما رأيتُ ، وكتمتُ ما رأيتُ ،
ثم تناسيتُ ما كتبتُ ، حتى نسيتُ النسيانَ ،
لكن ..

كم كان جميلا
أن أغسلَ الذكريات بالدمع لئلا تصدأ ،
وأن أغمسَ الأسرارَ بالأسرار ،
لئلا تبوح .

أسطورة الطير والمرأة الهاربة

أعرف أين تنتهي أسطورة المرأة الهاربة ، التي يسير ، في نبضها ، العاشق ، ولا يصل إلى محطة القلب ، إلا بعد أن يتفكك ، ريشة بعد ريشة ، كما طيرٍ يبيع حنجرته ، من أجل أن يفوز بأغنيةٍ ، لكن ما أعرفه لا يعني أنّ القرعة قد وقعت عليّ ، أو أنّ الرحلة قد توقفت عند هذا الحد .

لا أريد أن أتعثّن بالعيش داخل حجرة المعرفة ، نائماً على وسادةٍ من ريش الكتب : لابدّ من تحطيم زجاج نوافذ الطمأنينة برعد الخيال ، والطيران على متن أقرب عاصفةٍ ، من أجل نصيبي من الجمال الذي لا يُطاق ، ولأنّ هناك مقاطع ناقصة من الأسطورة ، كان قد اقتطعها آخرون ، يجب أن أستعيدها .

لن يُثنيني أحدٌ عن العودة إلى البداية ، حتى لو كلّفني ذلك أن أخسر الأغنية ، التي في سبيلها بعثت حنجرتي : أنا الطيرُ الذي فككه الآخرون ريشة بعد ريشة ، وهم ينهبون تلك المقاطع ، من محطة قلبها ، قبل وصولي .

أسرار

كم كان قاسيا أن ألمسَ الجمرَةَ في راحة اليد ،
ثم أدّعي أنها موجة ؟
كم كان مؤلما أن ألمَّ الصديقَ الذي تناثرَ ،
وأن لا يلمني إلا عدوي ؟
كم كان صعبا أن لا يثمر الصفصافُ أبدا ،
وأن لا يمد الظلالَ إلا استجابة للطبيعة ؟
كم كان ..

لقد رأيتُ ما رأيتُ ، وكنمتُ ما رأيتُ ،
ثم تناسيتُ ما كنمتُ ، حتى نسيتُ النسيانَ ،
لكن ..

كم كان جميلا
أن أغسلَ الذكريات بالدمع لئلا تصدأ ،
وأن أغمسَ الأسرارَ بالأسرار ،
لئلا تبوح .

أغنية لماذا فتحت الباب ؟

كنتُ أسكنُ بدني :
لا أوسعُ منه بيتًا في العالم ،
فهو بدني ، وأنا أعرفهُ غرفة غرفة .

بإمكاني أن أتجولَ بين مرآياه ،
بصحبة أشباح أبتكرهم ، كما يبتكرُ الطفلُ ألعابه .
بإمكاني أن أتأبطه مثل كتاب :
أجلسُ على الرصيف ،
أتصفّحه مترنما بخطواته ، وهي تبتعد .
بإمكاني أن افككه في الصباح ،
وفي الليل أنصبه تحت نجمة .
بإمكاني أن أتركه هكذا ..
مثل معطفٍ يغطي جسدَ الشاطئ
أتأمل نفسي داخله ،
أتعرفُها

كما يتعرّفُ المرءُ ، بمواجهة الغرق ، على يديه ،
حتى وصلت ، رفعتِ المعطفَ ، فجأة
فرايتني ارتلُ موجةً تسطعُ في باحة خواطري ،
أشربُها
ومن شدة السكر أصرخُ :
لماذا فتحتِ الباب ؟
دعيني..

دعيني :

لقد رأيتُ المستقبلَ ، في السيرك ، يمشي على الحبل
كالبهلوان ،
وحفظتُ عن ظهر قلب مواقيت انقلابه ،
أما الماضي فلم يعد مهمًا
مادام المهرجُ قد حذفَ منه الرقصات
التي كنتُ فيها الطبل .
لم أعد أملكُ علوًا أو انخفاضًا
ولا يهمني ،
لأنني أعيشُ في طيبةٍ من ثياب الزمان ،
تاركا الخاسر والرابع يكرعان الغصّة من نفس الكأس
وأنا مشغولٌ عنهما :
أكنسُ عن عتبة بابي الغبارَ
ليجلسَ قلبُ العالم المثخن بالجراح ،
إذ يعود من المعركة شاحبا ،
غير عابيء بـ... من أين جاء هذا القائد بجيوشه ،
أو ذاك النسر بأسراه ،
فالملاكُ أو الشيطانُ فكرةٌ ضروريةٌ للبعض ،
أما أنا فقد رأيتُ ولن أخبرَ أحدا .
لن أخبرَ أحدا .

ما الفرق ،
إذا كان العصفور ، حتى وهو ينقل أعواد سريره إلى
خارج الغابة ، يغني الغابة ؟

كفى .
لا شيء حقيقي الآن إلا شغفك بي
وهو يحفرُ عميقا ،

حيث الإنسان يلاطف رايته المكسورة .
لا شيء حقيقي ، وعندِي البرهان :
في أعماقي هناك أغنيةٌ لماذا فتحتِ الباب
لن أسمعها أحداً حتى أنتِ ،
إلا إذا سكنتِ معي تحت سقف بدني ،
في نفس الغرفة ،
تاركة شغفي بكِ يعلنُ متى تنتهي رحلةُ الموجة نحو
الموجة ،
ولن تنتهي ، هذه المرّة ، إذا بدأتُ ...

ميتافيزيقيا

لبثتُ مختفيا داخل نفسي ،
ولأنَّ الشاعرَ لم يقدِّمَ خلاصَه أخلِيتُ المكانَ :
نضوتُ عني جلبابَ بدني ثم دخلتُ ،
ونحو شيء ، ربما هو الحلُّ أو المعجزة ،
رميتُ سنارةً وعيي .

أحيانا كنتُ أخرجُ
لأنفصَ الغبارِ عن حصيرِ سريرتي ،
أو لأكنسَ ما وجدتُ ، في باحةِ أعماقي ،
من رمل .
في كل مرة ، حين أعودُ ، أرمي حجرا إلى الفراغ ،
فأسمعُ ، داخل نفسي ،
صوتَ ارتطامه بالظلام .

هكذا ، تحت حماية الخيال ،
ابتكرتُ فِطرةً أخرى وحفرتُ عميقا ،
في رحلةٍ إلى الأمام والخلف ،
خصّبتني خلالها أملٌ ،
كان يفرُّ كلما واصلتُ حفرَ نفقي ،
ولمّا صرثُ في الطرف الآخر منه ،
أصبحتُ رشحةً من خيال الدخان .

أكانَ أملا حقا ، أم سرابا لا غير ؟

ضربتُ على طبل تساؤلي بقوة ،
وأرسلتُ خواطري إلى جهاتٍ لم يطرَقها قبلي قلبٌ ،
فعدت جميعها بتساؤلاتٍ أعمق .
في واحدٍ منها التقيتُ ملاكا هابطا من سماء أبعديته ، وقد
عَلَقْتُ مظلَّته بأهداب نجمة .
على ضوء فانوسٍ كشفتُ له خوابي العالم ،
فتبخَّر بكامله من النشوة ،
ثم
تلاشى تماما ،
تاركا لي وساوسه كتذكار .

قلتُ : لعل هذا هو الحد ، الذي يفيض فيه المحدودُ عن
الحد ،
والنقطةُ
فرأيتُ قفصا ينحدر نحوه طيرٌ .
رفستُ القفصَ ،
ورميتُ إلى الطير نظرةً ، فاخترقته :
كان القفصُ بدني ، ونفسي هي الطيرُ .

هتقتُ : قتلتُ الوحشَ ، قتلتُ الوحشَ ..
لكنني حين تجلَّيتُ عدتُ إلى الأصل :
رجلا يتهدم ،
كما سياج مدينة ،
هي دائما ، عرضة للنهب .

المرّة الأخيرة للبحر

وهو يبتكّر ، من الشعر ، كهيئة إنسان ، ثم ينفخ فيه ،
فيصير امرأة .
وهو يغني : يا خالدتي ،
يا نجمتي ،
يا مأزقي الفاتن ، ويا عصفورتي .

كانت ، عندما يجوع ، تخبزُ له يديها ،
وإذا ما حشرج البرقُ بين أضلاعه ، وهطلَ المساءُ ،
رتبتُ ، بأنفاسِها ، إناقة النفير .

وهو يضربُ عن الموج ، يخاصمُ الخلجان ،
ويتسرّب من شقوق أشواقه ،
ذاهباً إلى الليل ،
عائداً لشعرها بسلة النجوم .

كانت تقول : إنك تفعلُ ما يُقلق الشيطان ،
وكانت تقول ، وتقول ..

وهو ينبشُ مجرّة الشك :
يطرُحُ السؤالَ تلو السؤال .
وهو يتنقلُ بين الأطوار .
وهو يصرُحُ : أريني أنظرُ إليك ،
تذكّر
أنها مرّته الأخيرة ، كبحر .

الموكب

في المساء
امرأة تهزّ المهديّ
ثم
تغفو قبله .
في المساء
شاعرٌ
يرفعُ الأسلاكَ عن طائرة مخيلته الورقية .
في المساء
الماءُ يبحثُ ،
بين طيّات جسده ، عن روح الجدول .
في المساء
المساء يسعى خفيفا ، ذاهبا إلى الليل ..
في مساء مضى ، في مساء سيأتي :
العاصفةُ
تضمُّ حنانها إلى الموكب .

أغنية الينبوع الذي يتقمصك

كان عطشه كفيلا لأن يتجدد العشب ، في بادية المسافة التي تفصلك عنه ، لأن ما يحلم به هو الينبوع الذي يتقمصك ، ولأن سلة من براري إبطيك كافية كي يتخيل نفسه سنبله أزهرت تحت شمس حصادك ، فشرارة جمالك لا تكشف سرها إلا هناك ، إلا هناك .. وهي تضرم النار في جذوره .

أنت حصته من العيش في اللاعيش ، ومن الغراميات المنسية في الأزقة ، التي عبرها يخصب الماضي وثبة الزمن ، حيث كمشة من التأوهات الغامضة هي جوهر العمر . هكذا اعتاد أن يدخنك قبل نومه ، فاتحا لك الجهات لتكوني الدخان الذي يجدد له الحلم ، غير أنه الآن ، في هذه الاغنية المجروحة ، اكتشف أن بإمكانه أن يثب أبعد من حلم الينبوع الذي يتقمصك ، فلم يُشعل سيجارته ، كما هي العادة ، وبقي صاحيا يمشي ، و يتنفس العشب في حديقة اليقظة ، محاولا أن يكسر زجاج نوافذ التكرار الذي أملاه وجودك ، وهناك .. ، في كمشة تأوهات الجديدة ، شعر بأنه قد تجاوز وثبة الزمن ، ولم يعد راغبا إلا بأن يعيد ابتكار نفسه ، من أجل وثبة أبعد

الطيران بخيط من عصفير

بقلبٍ عانقٍ وويلاته ينظرُ الشاعرُ إلى قفصك المنسوج
من ريش النسر وبيتسّم ، لأن قضبانك ستغني الجوع ،
بعد فراره ، ولأنه عاد معافى ، مغسولا بما في سريرته
من فرح غامضٍ ، فلم تعد مديتك تجرحه بنفس
القسوة ، كأن رفته كعاشق قد الحقت بك الهزيمة عندما
وجدت أنه لبت أنيقا كالشعلة ، لا يسكنه إلا الضوء :
هكذا انكفأت على نفسك ، مثل مصباح عاطل صار
توأمة الظلام .

ستلبثين في عهدة الغياب ، الذي مثل بئر عميق يستقبل
الحجر ، ولا يصل صوت ارتطامه بالقعر ، إلا بعد أن
يتآكل ، أو بعد أن تصير الحاجة إليه حقيقية . هكذا كانت
حاجته إليك ، كشاهد لن ينطق أبدا ، مع أنك تفتحين
أبوابك لكل قادم ، كما مقبرة ، من أجل أن يتيه
المستكشف بين شواهد سكوتك .

كثيرا تهجى وجودك ، بمختلف لغات الحب ، ولم يفهم
لماذا تجعلين حتى بسمتك مثل طعنة في الظهر ؟
كيف كان بمقدورك أن تجعدي قوس قزح بهجته
كالورقة ، فلم يجد ، من كل هذا الدوار ، إلا أنك الزلّة
التي تجرجر غفرانها زلّة أخرى تسحبه إلى قعر البئر ،
كلما حاول الصعود إلى سطحه ...

لم يعد إختفاؤك يسبب فراغا كما قبل ، بقدر ما يتيح له
أن يطير ، كما ريشة ، تجر ورائها الشمس بخيط من
عصافير .

عندما تنهي القصيدة نفسها

عندما لا يهملها ، هي العاشقة ،
أن ينفجرَ عمودُ صبحي في صحن نومها ،
وتكتفي بنظرة ما : هائلة ، كأنها صُمَّتْ لمسح كياني
كله .

عندما أرتجفُ ، كما سعة ،
وهي بطقس مزاجها المتقلب ، تنتزعُ الريشة الأقوى
من جناح وجودي ،
غير عابئة بما قد أصير اليه :
عصفورا في العراء ، يُعيد اكتشاف صحراء اليد التي
أمسكتُ به ،
أو بلبلا لا جدوى من غنائه ،
عند نافذة قلبها المغسول بحمى القطيعة .

عندما لا يعني لها أمنحها الوردية أو السيف ،
أو حصاني الذي يمر بين حواجبها ،
حاملا على ظهره معطف البرق .

عندما لا غد ولا أمس ،
كأن الحاضر هو الزورق ، وقد جفَّ الوقتُ في
الساعات ،
وارتدى العالم بدلة الفراغ ،
فلا شيء من الحب كان بيننا ،
وما من شيء هناك آت اسمه الفراق .

عندما لا تشوب خرائط عواطفها الا زلازل الخصام،
وقد نسفتُ كون خرائطي المكتظ بالسنايل ،
في لحظة الحصاد ،
قبل أن تنحدر القطرة نحو القطرة ، وتتكوّن البحيرات..

كانها ما طرقتُ بابي ، ولم أفتحه .
كانها ما فتحته عنوة ،
فانهارَ سقفُ عزلتي ، وتساقطتْ ثمارها ،
كما الماء ، من على الشرفات .
كأنني لم أضع على طاولة التفاوض مفاتيح نصرها :
لا حاجة للقتال
فأمام أعنة الطوفان لا يملك النبع لنفسه شيئا ،
إنما لا تقلقيني لأنني ، قبل أن أكون أسيرك ، إنسان .
كأنني
لم أفتح أمامها براري قلبي الدافئ الحنون ،
لترى الجنة ، ويسكنها العيدُ ..

عندما لم يعد ثمة مكان حتى للغياب ،
واكتشفتني مجردا ، في خيالها ، حتى من محنة الحزن ،
كما لو كنتُ سلكا هاتفيا ، لا يرتجف حين تمر الخلجات
من خلاله .

عندما تذهبُ إلى نفسها ،
وأخلعُ نفسي عن نفسها وأتبعها ،
منتظرا أن يتمّ الالتحام ، فأكتشفُ مجرّتها .
عندما أكتشفُ مجرّتي ، نجمة بعد نجمة ،
وتحجبُ سرابها بنيازك باردة ،
كقصائد العاطلين عن التمرغ بالجحيم أو بالجمال .

عندما تهربُ إلى النعاس ،
وأهرغُ باحثًا عنها في بحيرة السهاد .

عندما لم يعد التساؤل مجديا ،
كالعتاب على الوقت ،
ولا الشيعر ملاذا من تقطيعه افقها المكتظ بالكمائن .

عندما أشنقُ بما يقول لها الآخرون ،
وأعود من الموت بما قاله آخرون غيرهم :
عندما عدتُ لا أعرف كم حاجتها من الموتِ ،
حتى أموت ميتةً طويلةً ، تكفيها والآخرون ..

عندما لم أعد أعرف كم شجرة أقطعُ
كي أنتزع ، من أرض روحها ، شريعة الغابة .

عندما وجدتُ أن قلبها لا يسع البراءة ،
وأن أصابعَ أخرى تعزفُ لحنَ انكساري ، لتطربها..

عندما أصابها جنوني ،
ولم تطر مع السكون ، مثل ريشة تجرُخُ الهواء .
عندما أجزَّ إليها شمسَ البوح ،
وغرام التلصص عما وراء الكتابة ،
ثم أشرقُ بها على الشيعر ،
فلا تمارس إلا الغروب .

هكذا
تنتهي القصيدة نفسها بنفسها ، وينطفئ كل شيء .

قصيدة المزهرية

عندما يتقيأ الطيرُ أحشائه ، ثم يهبط إلى الأرض ليلتئمها
، تكون الرؤيا الخاطفة التي تجعل الكون مفهوما قد
تجلتْ ، وما على الكائن إلا أن يجلو حنجرته ، ويغني
أغنيته البدائية الأولى ، حيث الملاك والشيطان يحملان
كرة من الدخان ، هي روحيهما :

هذا الكوكبُ الذي يدور حول نفسه ، منذ ملايين
السنوات .
هذا الهواء الذي تجدله العاصفةُ ، فيضرب الجبالَ هناك
، وتكسره ريشةٌ هنا .
هذا الترابُ : العنصر الأبدى .
هذا الماء الذي يخنق حشرات الغرقى في البحر ،
وينسلُّ من عيوننا ، دمعة بعد دمعة .
هذه النارُ التي تتحرك ، في الجهات ، باحثة أبدا عن
شكلها .

ذات يوم يتوسد الكائنُ ذراعيه ، وينام قريبا جدا من
نفسه ، فيرى ، في منامه ، رأسه مطروحا مع صف من
الأحجار ، كما مزهرية .

أغنية من أنت ؟

شوهدت في أماكن عدة ، في آن واحد ، كما لو أردت أن يكون عطرِك مشاعا ، غير أن الإمساك به لن يتم بيد وردة ، حتى لو صار المرء حديقة .
يقول الذين سافروا إثرك في الصحاري : ليس ثمة حد لتعريف بهائِك الذي يكسر الدهشة ، لأن مراهم تلعثمت ، ولم تنبس ببنت شفة ، فما عكست ، إذ عكست ، إلا راحة يد تنكفي ، فتسيل من بين خطوطها الينابيع ، وتتشكل ذاكرة البحيرات .
كم كان ذلك أصعب بالنسبة لآخرين ، شاهدوك في البحر ، وكل بطريقته صار يرسمك ، في آن واحد ، موجة تنافس في زرقتها الموجة ، حتى صار العالم ماء ، وأنت التي على سطحه تبتكرين اليابسة .

لم يفسر أحد ما كيف تتشعيعين في مخيلة الكون ، وتركين ورائك صورا ، تجد طريقها إلى سطور الورق ، أقمشة اللوحات ، خشبات المسارح ، وأحيانا إلى مقاطع منسية في العراء ، حيث يتعذر على المتوحدين لمس وحدتهم من دون صحبتك .

أسألك : من أنت ؟

لأن الأغنية تومئ بما لا يمكن تدوينه إلا بالإشارة ، لذلك أكتبك كل مرة بشكل ، كأني جميعهم أولئك الذين شاهدوك في الأضرحة ، على زجاج النوافذ ، وفي

شفرة البرق . كأنك المنحوتة في أعماق كل نفس ،
والغوص ، من أجل صيدك ، يحتاج الى الجنون
كسنارة ، فالموهبة التي تحدك لم تخلق ، كما لم
تنبجس بعد ، من أية حجرة ، نافورة الصوت التي
تغسل هواجس عشاقك ببحّة العبورية .

لم أشاهدك قط ، من دون العالم ، لأنني أعمى ، لكنني
أعزفُ خواطر عصاي ، التي نقرت حافة رصيف
جمالك مرة ، فصارت خضراء ، كما غصن .

سبع أغانٍ من أجل أغنية

١

طائرٌ في السماء ، فوق بركان ،
فجأة
تتمرد عليه الأجنحة ، في ..

٢

هنا رأسٌ يتجول فيه العراء .
هنا رأسٌ يطرقه زوارٌ آخر الليل :
يسلبونه الأغاني ، ويطلقون وطاويطاً في مراهيه .
هنا رأسٌ تنشبُ داخله معركةٌ ، وجيوشٌ
تنسى راياتها بين أطلاله .
هنا رأسٌ يتناسلُ فيه الاضطرابُ .

هنا رأسٌ تطل عليه خرائبُ مدنٍ شاحبة ، تنسولُ
تجاعيدها من المارة .
هنا رأسٌ تنطقُ فيه خطى امرأةٍ تائهةٍ ،
وطائرٌ أسود يسرقُ أقراطها .
هنا رأسٌ
الحبيباتُ يجلسنَ قبالتة ،
ويزغردنَ لطفلٍ مخبوءٍ فيه ..

٣

طفلاً مخبوءاً بين الأقفال ،
يتسلى بعدَ المفاتيح .

أهنالك أرواح تمنعه من صحبة الغدير ؟

طفلاً
يصحبُ القطرةَ من النبع ، حدَّ الجذر ،
وفي أعالي الأشجار ينتظر مبيتها في قلب الثمرة ،
أيقظها ؟

طفلاً
معلقاً بين قلائد الغفلة ،
يهب السهوَ رفرفةً النسيان ،
أهوَ عاطل ؟

طفلاً
يحرصُ الأقفال .. بضحكاته .

٤

تلك طفولةٌ مشتٌ بفردة حذاء على فردوس الكلام ،
وتوارتُ في الأثر .
لعبتُ بين الأوراق ، في الهواء والعاصفة ،
وكانت تأمرُ الأجراسَ بالصمت ، وهي تمر بصحبة
أترابها :

كانت تعودُ ، كل صباح ، الى الأجنحة بطائر .
ركضتُ طويلاً بين الشاطئ والشاطئ ،
ثم دقتُ ساعة الجفاف ،
فقرتُ ..

٥

أجرُ النظرَ :
أرضعُ الدقات القادمة من القلب ،
وأبصقُها بوجه الصباح .
آلاف المرات مزّق هذا الطفلُ قصائده .
آلاف المرات مرّت امرأةٌ ،
وسألتُ وسادته عن طائر التقط أقراتها بمنقاره .

آلاف المرات وأنا أجرُ النظرَ :
هناك

فوق بركان تمردتُ عليه الأجنحةُ ..
آلاف المرات :
أمسكُ القوسَ بلا نبيلة ،
فبيتسمُ الهدفُ .

٦

أجلسُ وحيدا
كناسكٍ يرتفع بين قدميه العشبُ ، ولا يرفع رأسه :
لقد دنتُ مياهُ الكهفِ ،
وما من ضوء يمنع نفسي من الكسوف .

كلُّ ما ألمس صار يعرف أنني أودّعه .
أطوي سنينا من البهجة ، لعبتُ فيها مع الجدران .
لقد رسمتُ للهواء مجدا من الممرات .
على أحد الممرات رسمتُ خرائطُ للطيور التي تروم
العودة .
كانت الطيورُ أكثر براءة من الآن :
كنتُ أغمضُ عيني ، وهي فوق يدي تتناسلُ .

٧

لا أعرفُ مَنْ يدلّني لأعرف : كم مدينةٍ عليّ أن أتشرّدَ
تحت سمائها ، كي أصل الى المدينة ؟
إنني أحلمُ أن أصل مدينتي كإبن تائبٍ من الإفلاس
والمدن :
أفتحُ حنفياتها ، فلا يتساقط في صحنِي
الدمعُ .

إنني أتوبُ من الأحلام ،

لكن أين ما وضعتُ رأسي أحلمُ بطائرٍ فوق بركانٍ تنمرّدُ
عليه الأجنحةُ ، فيسقط .
أحياناً أضغُ رأسي على وسادة ،
وأذهبُ لأنامَ على وسادةٍ أخرى .
في الصباح ،
تحت وسادة رأسي ،
أعثرُ على طائرٍ محترقٍ ، بمنقاره ، لا تزال ، تلمعُ
أقراطك .

افكرُ مثل شجرة

كانت تنمو ، في أعماقي ، غابات مذهلة . كنتُ أحرصُ
على أن أزودها بما في الخيال من ينابيع ، ظلال ،
وأثمار ، لكن خططي تبدلتُ حين وُلدتُ كإنسان .
في الأصلِ كنتُ مشروع شجرة ، و لا أعرف لِمَ نبتُ
إلى جواركِ بهذه الهيئة المحطّمة ، حيث كل لمسةٍ منكِ
هي الفأسُ .

سألبتُ مفكراً في بؤس مخيالكِ ، حتى وأنا أتساقطُ ورقة
بعد ورقة ، لأن سارية ضميركِ لن تتخذ الأخضر راية
، فالخريف أبدا هو من يرفرفُ فوقها، كما أنني لن أكفُ
عن معانقة ربيعي الخاص ، وإن كنتُ شجرة تعيشُ في
غابة إنسانكِ الشاحب .

الققص

البرقُ الذي ضربَ الشجرةَ ، لم يضربُ الشجرةَ :
ضربَ الغصنَ .

البرقُ الذي ضربَ الغصنَ ، لم يضربُ الغصنَ :
ضربَ العصفورَ الذي حطَّ على الغصنِ .

البرقُ لم يضربُ العصفورَ ، ضربَ الققصَ :
آه ،

الققص الذي حمله العصفور في قلبه ، وهو يفزّ منه إلى
الشجرة .

بيت العزلة

إلى احمد الباقرى

لا تسألني كيف ابتنيت من القطيعة بيتا ، وكيف شيدت
حوله جدراننا من اليقظة ، لأنني لبثتُ ماشيا تحت راية
لا ترف بين الرايات ، ولا تسقط بسقوط الفارس .

هل كان ضروريا أن أطرّد الساحات ، التي مشيتُ معي
، وأن أغلق على النهايات بيتي ؟

كنتُ اريدُ ما هو أبعد :
أن أترك العالم وحده في الظلام ،
حيث القنديلُ الممسوسُ بالشعر يقرأ عليه ذنوبه ،
فيما أنا أتتأهب خارج الكون ،
وبين يدي النومُ والأرقُ يتناوبان على رسم اللحم ، وهو
يجبو صغيرا ، ملطخا بالقلق !

كان ممكنا ما هو أبعد :
أن أتأخّم حدودَ المجرات .

لا تسألني : كيف وجدتَ العزلة ؟
اسأل العزلة : كيف وجدتني .

النهر

يأتي النهرُ ولا يجد ضفافه :
يجد راحة يد ، لكن الصيفَ يغطيها .
يمضي النهرُ ولا يسمع رنين أمواجه ،
لكنه يسمع تساقط الحصى في مجراه .

أخيرا يدخل ممرات مفتوحة ،
حيث يعثر على صبي يتلو على الرمل أناشيده :
أيها النهر ، ليست هذا مجراك ، ولا ممراتك .
هذي
خطوط يدي..

وهو يترككِ لبشاشة النسيان

الذي لو كان عصفورا لصنعَ ، من خطوط راحتيكِ ،
أعوادَ سريره البسيط ، كوجهكِ ، مغردا اسمكِ حرفا
بعد حرف ، كما الآن .

الذي لو كان شاعرا لكفّ أن يكون ، واكتفى بأن يخرّ
صعقا أمام جمالكِ ، الذي كتبه البرقُ في عروق الينابيع
، حين المطر لا يجد مكانا يسقط حنونا عليه إلا وجنتيكِ
، كما الآن .

الذي لو كان عاشقا لهام طوالِ شعركِ ، الذي يفيض
كالأنهار في وديان الشعر ، ولغرقَ عميقا فيه ، كما
الآن .

الذي لو كان ساحرا لحوّلكِ إلى امرأة بلمسةٍ ، من
نظرتها ، تنتقل الكتابةُ بين السطور ، بأناقة البلور ،
ويرتدي العالمُ قميصا مغسولا بأصيل يقظتها ، كما الآن
.

الذي لو كان فراغا لارتدى بدلة جسدكِ ، وصار
حضورا لبهاء غيابكِ ، كما الآن .

الذي لو كان بدلة لخلع نفسه عن كامل نفسه ، وانتهى
إلى لا شيء يمكن أن يكونه سواكِ ، كما الآن .

الذي لو كان بإمكانه أن يمسك ناصية الخيال ، لرفع ،
كل صباح ، رايتك ، مؤديا لك التحية ، كما يفعل
التلاميذ في المدارس : موطني .. موطني ، يا ملاذي ،
كما الآن .

الذي لو كان يملك ريشة لرسم تحت سقف غببتك على
السرير ، كيف ينحدر السيل من جانبي قاربين ،
يتجهان نحو بعضيهما ، كما الآن .

الذي لو أراد
لكان جزيرة تنتسح لكل الزمان : كلما اتسعت
قصيدةُ حزنك الصباحي ، عندما يجرفك الشعْرُ بتياريه
إلى كآبة غرامية مرحة ، مرسومة في أعماق كل شاعر
، في قيعان كل غرام محرّم ، يشنقُ مراسم هيجانه من
كتاب ما جاء به وحيّ ، إلا الهيام بما هو ساحر ، كما
تفعل أجنّاتك ، عندما تكون طريقا إلى تلاوة مقاطع حلم
، لم يره سواه : هو موجة قريبة بعيدة ، كما الآن .

يا مكان الأمكنة .
يا نهرا ، هو الزمن ، يعرف اللحظة التي ينتقي من
عمره الطويل ، عندما يريد أن يتوقف الكون عن
مواصلة رحلته ، نحو اللانهاية ، الغامضة حتى عن
نفسها .

أيتها المرأة التي لا أحب إلا إنسانها الداخلي المستحيل
تكراره ، رغم اتساع مجرة الخيال ، تاركا قلبها يستقبل
من وظيفة حراستي ، طليقا كالريح في سياحة حبها
للمطلق ، صاعدة إلى الذروة من النزوات :

نزوة بعد أخرى منذ بداية الهيام ، شيدنا عمارة غرامنا
الخارق ، من تبادل القبلات بين الرسائل ، تحت
الجسور التي في الأغاني ، وفي المواعيد التي لم
يحضرها أحدٌ منا ، سوى الغياب :
قبلة فوق قبلة ، حتى اكتملت رغبة الروح الى الطيران ،
فيما الفراق يلمم ما كتبناه على دفاتر أعمارنا ، من
ترانيم ، في حقائب أكثر حقيقية من حياتينا : نحن
معزوفة منسوجة من شهقة الغرق ،
وإضاعة المفاتيح بين أبواب ، لم يلجها أحدٌ ، ولم
يخرج أبداً ، إما عاشقا أو غارقا في الجنون .

أيتها المستحيلة الحدوث، كالمشي بلا قدمين على جبل
اسمه الزلزال :
أنا مستحيلك
الذي لو كان يريد أن يكون لكائك قبل أن يكون ، كما
الآن .
أنا الذي لو كان يحبك لأحبك قبل أن يحبك ، كما الآن،
والذي ، هو الآن، يحبك ، حتى بعد أن أحبك :
يكتبك ، الآن ، من أجل أن يتحطم ،
أو يتحطم ، الآن ، من أجل أن يكتبك ،
ولن يتوقف عن نفس نفسه بما كتبت يده ،
كقصيدة اكتمل بناؤها ، فلم تعد صالحة لشيء ، إلا
لتمزيقها جملة جملة ،
كما تمزقت من قبل أوراق حياته ،
وهاهو يكتبها ثانية لتشبهك أكثر منه ، كما الآن .

ربما

سيختفي في أزقةٍ غير محتلمة الوجود ، كما وجودك ،
ما مرّ أحدُ فيها إلا وتاه ، باحثاً عن ضياعه الخاص
، تاركاً وجهك الشاهق الجميل ، وراء ظهره ، عرضة
لبشاشة النسيان ، وعزلته الفاتنة ، تماماً كما يفعل الآن .

الغزال

إلى حين بقي الغزال متألماً من اليد التي ذبحته ، إذ بعد
حين رفع رأسه ممتناً لنفس اليد التي حلت له وثاقه.

أغنية الرحلة

كنت أقلّ من أن يحبك ، لكن قلبه كان مصرّاً على الاحتفاظ بوسامته ، فقاوم كلّ جفاف العالم ، وهو ينقلُ إليك قطرة الماء : قطرة الماء الوحيدة ، التي تحوّل صحراءً روحك إلى ترنيمة ينبوع ، يهزُّ بها المبتلون بالقحط المهدّ ، فنتسرب خارج جسدك عدوى الرمل ، التي نقلوها معهم ، في الطريق إليك .

لم تنفع معك الأغاني التي كتبها بلغة القمر ، لأنّ ظلامهم كان مشعا ، ولم تكنس الترانيم غبار الجحود من على حبال صوتك ، لأنهم زرعوا نعيب غربانهم هناك .

كل عواصف الخريف كانت رهن إشارتك ، لكنك اكتفيت بأن تراقبي كيف يتم تجريده من خضرة الربيع ، فهو الشجرة التي يجب نهبها ، بيد أن قلبه لبثّ محتفظا بفروسيته ، وهو ينقل إليك قطرة الماء : قطرة الماء الوحيدة التي تجعل منك مشروع كوكب صالح للحياة ، حتى إذا ما وصل أخيرا ، ووضع القطرة في صحن راحتك ، لم ترينه ، ليس لأنك خسرت نظرتك الباطنية فقط ، وإنما لأنه كان قد تبخر تماما ، من شدة العطش ، خلال الرحلة .

قلق الحيلة

لا تأمل سقوط الطير بمجرد قوسك ،
فقد يسقط رغبةً منه بالنهاية .
لا تأمن أن تركض نحوه وقوسك خالٍ ،
فقد يطير ثانية .

البحر

طفلاً أمام المرآة يهزُّ سعفة ، فيتحرك البحرُ ..
هناك
خلف النافذة التي تعكسها المرآة .

قندیل یخاف انطفاء الريح

بانتظار أن ينقلَ الملائكُ والشيطانُ عراكهما إلى الخارج ، فأعودُ نفيا ، وقد طردتهما من داخلي ، أقفُ مضطربا عند بوابة قلقي ، مثل رجلٍ تحت إحدى قدميه كنزٌ ، ولا ينحني له ، فتحتَ القدم الأخرى لغمٍّ ، أتناثرُ قبل انفجاره ، ولا يلممني أحدٌ سوى العراك ذاته ، لكنها معجزة لا تحصل إلا وقد صممتُ على ذبحها .

عبثا أكتبُ ذلك ، لأنني سأمحوه ، أشطبه ، أعبره ، ولا أكفُ عن الالتفات نحوه ، فأعودُ وأكتبه .
آه ،

لا أحد مثلي يرشّ القلقَ على ما يكتبُ .
أمزقه ..

ثم أجنو على ركبتيّ باكيا ، وأجمعه :
قلقي حجرٌ يلعقُ نفسه ، وربيتي قنديلٌ يخافُ انطفاءَ الريح .

ثانيا

طبعة جديدة من رتي السياب المثقوبتين

الأقلية الساحقة

قلة هم أولئك الذين يحفرون أنفاقا ، في أرض السهاد ،
لتهريب أحلامهم ، كذلك هم قلة أولئك الذي يلملمون
أطراف ثياب الماء ، في جِرار الشطوط ، التي نسيها
نهزُ الأمل تجفُّ ، وهو يغَيَّر مجراه ، فيما هم
يكسرون النايات ، لينطلق العصفورُ من قلب الخوذة .

، آه

ما أكثرهم أولئك الذين جرحوا الأغنية ، مزَّقوا الألحانَ
، وجرجروا الهديل . البعضُ اكتفى بفاكهة النسيان ،
البعضُ هزَّ سريرَ الكسلِ ، ولم يمشِ إلى القصيدة ،
تاركا قدميه خلفه ، البعضُ ..

قلة جدا هم أولئك الذين لم يحنوا للعاصفة ، بالرغم من
أنهم غالبا ما اهتزوا أمام رقة العشب : أولئك يستحقون
العيش في قلب الجمرة .

زملاء المطر

الشعراء الحزاني ، الغامضون ، الناطقون بالإشارة ،
الذين لم يبارحهم الحياء ، ولم يمطوا الكلمات أبعد
مما تصل إليه أصابعهم : ناهبو الشعلة ، العُراة ،
ومخمنو الفرح ، الذين بدمعة يغسلون الغفران ،
ويمسحون الزلّة .

الناجون من الانحناء إلا لالتقاط شمس ، أو رفع
حسرة : مصححو الأرق ، مفخّخوا السهاد ، قاضمو
الضجر ، والذين لم يترددوا عن المشي فوق المياه ،
لأنهم مُوكلون بمهمة الغرق .

أولئك ستلاطفهم العثراتُ وتبطش بهم المدنُ :
ستأمرهم الفنادق بالنزوح إلى الساحات ، ومن ساحة
إلى ساحة سيطاردهم نبأخُ القناديل في الأماسي :
سيعودون صارخين من الألم إلى حبيباتهم ، فلا

يشمّون في أحضانهن رائحة امرأة ، وكما أكلتُ
الساعاتُ المفتوحة على الرمل هواجس طفولتهم ،
سيأكل الإسفلتُ أحشائهم المبللة بحنو البراري .

القادمون من أقاصي اليقظة ، من الخرائب ، من قصر
الخيوط ومن انقطاعه ، والنازحون إلى أقاصي العزلة :
لن يصلوا ، لن يأمروا ، ولن يطاعوا ، وأنا واحد منهم .

أغنية خارج السرب

من المؤسف حقا أن تموت ، ولا أحد يدري أنك كنت
شاعرا . ربما كانت الحظوة لمن رأى كيف قدت التلال
إلى العشب بمرأة مكسورة ، وكيف سقيت العزلة
بجدول الأرق .

انحدرت مع النسور، وسكنت إلى الحمام ، فانعزلت عن
الفحم حقا ، لكنك انعزلت عن الدرّ أيضا : هكذا لبثت في
الميزان ، في ذروة الانشقاق . لا من ماء هؤلاء شربت
، ولا من دمع أولئك . كطائر خارج السرب غرّدت ،
فكانت لك الفخاخ ، وكنت لها .

من المؤسف أيضا أن تقود النبلّة إلى القوس ، وأن
تذبحك نفس النبلّة .

قصيدة الإنسان

وصلتَ أبعدَ ممّا وصله شيطانٌ أو ملائِكٌ ، فما وجدتَ
شيئاً يُذكر : لا نهرَ رأيتَ على صفحة مياحه وجهك
الأخر ، لا جبلَ ترتقيه صوب المطلق ، ولا صحراء
ينتظركَ فيها التأملُ ، كما تنتظر المعاركُ وصولَ قتلاها

لا تتعجل .

لم يتبين بعد عبثُ خطواتك ، ولا عطب الترانيم التي
سفحتها طوال الطريق ، فإذا كان لابد من عزاء فهو
الغبار على القدمين : أمسك به ، كما تمسك البراكينُ
بفوّحاتها ، وانتش بسحرٍ لم يعرفه أحدٌ سواك ، فقد
أضحيتَ إنسانا .

ما من حربٍ إلا وكنتَ قتيلاً الغامض الهوية ،
ما من سفينةٍ إلا وكنتَ راكبها المنزوي ،
ما من عاصفةٍ إلا وكنتَ الملقى إلى البحر ، اتقاء شرها
، ما من ..

، آه

عجبتُ حين دققتُ مخطوطة حياتك : كيف لبثتَ قلبك
مكانه ، كلّ هذه المدة !؟

أغنية آخر سركون بولص في العالم

" كان يضرب عن الحياة ، يحلم بالاستمرارية ، وبأبدية
ليس فيها أي تغيير ، طريقته في الحياة هي أن يعيش
على الهامش : طبيعته المضربة تُخيف وتزعج ، لذلك
كانوا يرسلونه إلى الريف " ميشو

هو كأسٌ مكسورٌ على طاولة كل عاشق .
هو الخمر المراق على الطاولة .
هو العاشق .

شوهَدَ غافيا في مهد الطفولة ،
شوهَدَ يهزّ المهد .
شوهَدَ عاريا ،
شوهَدَ متحصنا بكثافة معناه .
شوهَدَ بسيطا كالخيط ،
شوهَدَ مشعا كالشمعة .

شوهد يخلقُ بعضَ الريح ،
شوهد ينصتُ إليها وهي تكسو الهيكلَ العظمي للعاصفة
ببعض الريش .

كان يحملُ على كتفيه مقترحا لشكل الكون .
كان كسولا وعلى مهل ، كفجرِ يكنس ، عن افق العالم ،
نشارة الظلام .
كان يصمّم رسائل الأمهات .

كان ينتقلُ بين المنافي ، كموزع البريد .
 كان يسكُرُ في حانات تعج بجنودِ هاربين من الثكنات .
 كان يصوغ دليلا إلى الإفلاس ، وينحُتُ طريقا إلى
 المحبة .
 كان مصنوعا من زوارق ورقية ، وخذلانات .
 كان يعشقُ الصباح ، وفي غرفته كثير من الليل .
 كان فصيلا من الأيائل ، وموكبا من الوحدة .
 كان يسكُنُ في ضاحية نفسه .
 كان باطنيا ، رغم سذاجته الرثة .
 كان يمشى على حبل الوقت ، و يتجوّلُ في ممالك
 المطلق .
 كان يحدُرُ من جهاتٍ غامضةٍ ، وذخيرته رؤياه .
 كان ينهشُ قلبه ، ويتحرّشُ بما يقلقه .
 كان يذهبُ إلى الأفاصي ، من أجل أن لا يعودَ ، لكنه
 يعودُ منها بشفرة الرحيل .
 كان يغسلُ حدوساته بنشارة القلق .
 كان يزنُ نصاعة الكائن ببصمات أجفانه ، وخفقات ظله
 .
 كان ظله عليلا يعكسُ شمسا مكتوبة بذهب العافية .
 كان يتركُ لأعضائه حرية أن تسافر بعيدا عنه ، ثم
 يلتقي الجميع في فسحاتٍ حنونة : يمضون السهرة بين
 أعشاب ذكرياتهم ، و يفترقون في الصباح .
 كان خارج الجميع ، ويصافحُ أعضائه كالغزباء .
 كان يمرُّ على مشهد الشعر ، كأبي عابر .
 كان يعيشُ تحت سقف المجاز ، و يتنفّسُ من خارج
 البلاغة .
 كان يقولُ هنا يداي ، عندما يصادفُ يديه في جمرة
 الكتابة .

كان يهتفُ هنا شفتاي ، عندما يعثرُ على شفتيه في
قضمة أغنية .
كان يصرخُ هذا هو رأسي ، عندما يشاهدُ رأسه يتصاعد
من سلال الدخان .
كان مُضرباً عن العيش في كنف بدنه ، ويتعاطى التردد
مع منشطات الفاقة .
كان يُطلقُ سراح هواجسه في مراعي الصداقات التي
يبتكرها .
كان يبني بيته فوق فوهة بركان ،
كان يجمعُ زجاجَ حياته المتطاير من الانفجار الموشك
على الانفجار .

شوهَدَ يتقدم الهجرات ،
شوهَدَ متأخراً عن الوصول .
شوهَدَ يملكُ أعتة الذاكرة ، ورهافة النسيان .
شوهَدَ يترنح سكرانا وهو يغني ، كأخر سركون بولص
في العالم :
شوهَدَ كأسا مكسورا على طاولة كل عاشق .
شوهَدَ خمرا مراقا على الطاولة .
شوهَدَ عاشقا يللم شظايا الكأس .

أنتِ الزهرة وأنا الشوك *

إلى جليل القيسي

تتبرقعين بزبد الأمان ، وقلبك مخلوع من عزّ قلبه ، كأن
لظلامك نكهة النور ، أيتها المولودة في الدهاليز ،
ووجهك ، في المرآة ، يعكس التفاتة الفجر . كنتُ أهرُ
منامك ، أنا الطفل ، وحين أغفو تهددك العاصفة .
من أجلكِ جاورتُ شظايا البرق ، مرددا اسمك ، مثل
أغنية تقيني الموت ، ساعة يحل ، بكامل أسلحته ،
الخطرُ ، وبين أحشائكِ تنقلتُ باحثاً عن الينابيع ،
وكان دخانكِ يستطلعني ، كبركان يبحث عن فوّته :
هناك أُرعبني جمالكِ ، وجرحنتني جلاله ومضته .
وذات صباح وجدته " غزالة سركون " ميتة بيابي .
غطيتُها بخلاصة الخجل ، عوّذتها بروح شمعة ،
فقامت . منذ ذلك الصباح وأنا أشمُّ خواطرها على
الإسفلت ، أتبعها ، فأعثر ، بين سطور رسائلِك ، على
ناي ، لا تزال رطبة ، بين ثقبه ، الأغنية .

آه ..

لا أحد ينفذ الغبار عن روح ملاكه ،
فالبعض أكله الترابُ ،
والبعض يأكل الترابُ .
أحبك ؟

كان ممكناً أن أكون لكِ الدرع ،
لو أنكِ سدّدتِ إلى الخصم رمحكِ ،

لو أنك بأظفرك الألف لعقت قيعان وحدتي اللامتناهية ،
وإلا لماذا تجرّعت كأس حبي السام ، الذي خلع عليك
جلباب تمرده على كل طاعة ؟
لماذا اخترقت الثقب الوحيد في قلعتي ، ودخلت الصالة
، كما تخيلتك : ناصعة البياض ، خفيفة مثل ريشة ،
وثقيلة مثل لاشيء ؟
من أجل من أَرْضعت ، من جَمالك ، طفلَ العالم ؟

أُحبك ؟

لا ..
ولن أكرهك .
أنتِ الوردَةُ ،
وأنا الشوكُ ،
وما ينقصنا لأن نكوّن حلفا ،
هو الغصن .

* في القصيدة إشارة إلى قصيدة سركون بولص " آلام بودلير
وصلت "

نطفة النسر

الى علي البزاز

لم تجنِ من كتابة الشعر الا كيف تمحو الكتابة ،
كمن يتسلق جبلا فلا يجد شيئا الا انفاسه المتقطعة .
لم تستسلم ، رغم ذلك :
في ذروة العاصفة ضربت الأحلام ببعضها ،
لتندلع ريشة الطيران مع الشرارة .

هكذا أشعلت حصتك من العمر ، كما العشب اليابس ،
صارخا بالدخان :
" أنت وحدك تعرف أن حصتي من العيش وصلت
ناقصة أصلا "
أما المصابيح التي كنت تنحت لها الضوء ،
فلم تشرق عليك لأن أكتافك اعلى منها ،
كما أن العميان هم الأجدر بالنوم تحت النيونات ،
فالعالم في اعماقهم وُلد
وهو يمشي الى الظلام .

انظرُ اليك تجر ارجبيلا من الوحشة :
ترسم وردة ، وتكسر رحيقها .
انظر اليك تحاول مسك الوقت :
" لقد هبط المساء ، وليس لدموعي من أنيس " تغني ،
وأنا أكرع عِظّة من أبيك الذي كان مصنوعا من
المعدن .
أنظرُ اليك تترنحُ ثملا على الشاطيء :

" ينبغي رمي الاحجار ، كي نصنع دوائر "
لكناك
ترمي قلبك .

مرات كثيرة أرسلتَ يديكَ طعاما للأسماك ، وشراكا
للجمر .
مرات كثيرة التقطتَ امرأة ، من بين الحصى ، فلم تجد
فيك الا رقة الساقية .
مرات كثيرة صنعتَ زوراق ، ومرات كثيرة صنعتَ
الغرق .

أكتبكَ لأمحوك ، وأكتبكَ لأمشي في نومك .
أكرهكَ لأحبك ، واعبدكَ لأحطمك ،
ثم أبكي معك :
" يا الهي ، لماذا حطمتَ الهك ، يا الهي ؟ "

أنتَ المعافى قبل الجميع ،
والمريضُ الذي يتلثم في بدن الداء ،
صعودا الى شرفة الألم .

أما الحبّ فلم يكن منصفا قط ، حين بعثكَ عاشقا ،
تتمزق في شوارع قلبه ،
حيث لا أنيس ، الا المرأة التي ، من الحلم ، تبتكر
روحها .

كان الهروب من المدرسة ،
حاملا معك الصف ، هو الدرس الذي رشقت ، من
خلاله ، بدن العبارة .

كان تحطيم المقاعد هو لإضرار النار في القصيدة .
وكان تحويل الكراريس الى طائرات
بداية التحليق نحو الاعمق ، حيث مقلع الاقاصي .

صرختَ : الشعر يبدأ عندما الجدار عاليا ، والغناء هو
نطفة النسر ..
ثم
اخفتت في الصرخة .

أنتَ خطوة تعرف العثورَ على عثرتها .
أنتَ نبوغ السكوت ، وبلاغته النادرة .
أنتَ المرأة من جهتها العميقة .
أنتَ اغنية منسوجة من غبار البلور ، من وجازته ، لن
تُطرب جباة الجوائز لأنهم يتدثرون بنشارة الفحم .
أنتَ لهجة الجحيم ، حيث الفردوس يفصح عن نفسه .

أغنية جمعية الشعراء الموتى

إنَّ خطرَ لكَّ أنَّ الحبَّ قد خذلكَ كثيراً ،
وأنَّ ما كتبتَه الحبيباتُ ، واحدة تلو أخرى ، كان مجرد
مزحةٍ .
إنَّ خطرَ لكَّ أنَّ امرأةً تنتظركَ .. هناك ، لم تُخلق بعد ،
فهي متوارية في ما ستكتب من قصائد .
إنَّ أمنتَ بأنَّ هناك ما ليس هناك ،
وأنَّ الماضي والحاضر والمستقبل
قد ركبوا دراجاتهم الهوائية ، عاندين ، خجلاً منك ، إلى
الوراء .
إنَّ هزمتَ الموتَ بأنَّ مشيتَ على جمرِ حباله ،
وتحسستَ ألمه ، وهو يتلوى بين عزلتك وصرختك ،
وحيدا .
إنَّ خطرَ لكَّ ذلك ، وصدقتَ بأنَّ ما في الكتب لا يعينك ،
كما تعينك شجرة تتسول منك ظلال أمانها .
إنَّ صدقتَ بذلك .
إنَّ أردتَ أن تتبخَّرَ روحكَ : تتكاثف فتصير فراشة .
إنَّ أردتَ أن تلعبَ دورَ الوردة والفراشة معا .
إنَّ تجاوزك خيالك فوجدتَ المسرح جاهزا
كي تلعب دورَ الفراشة والوردة والعاشق في نفس الوقت
إنَّ تماديتَ فأردتَ أن تصيرَ الحديقة بأكملها ،
ثم رأيتَ الروحَ أوسع مما كنتَ تظن .
إنَّ خطرَ لكَّ ذلك :

أَنْ تَنْتَظِرَ قَلْبِكَ ، أَسْفَلَ جَبَلِ الْحَلْمِ ، يَأْتِيكَ
مُتَدَحْرَجًا عَلَى الصَّخُورِ .
أَنْ تَتَهَشَّمَ حَيَاتَكَ كَالزَّجَاجِ ،
أَنْ تَجْمَعَهَا ، جَاعِلًا مِنَ الْعَالَمِ غَيْمَةً ، حَسْبَ الشَّعْرِ ،
وَمَنْ نَفْسَكَ طَقْسًا حَافِلًا بِسَمَاوَاتٍ لَا تَحْصَى .

إِنْ فَكَّرْتَ بِذَلِكَ .
إِنْ فَكَّرْتَ أَنَّ هُنَاكَ طَرِيقَ مَا لَمْ تَسْلُكْهَا بَعْدَ ، نَحْوِ
الْمَطْلُوقِ ،
فَضَعْ رَأْسَكَ فَوْقَ رَمْحِكَ ، وَامْضِ ِ مَنشِدًا أَغْنِيَةَ
الشَّعْرَاءِ الْمَوْتَى .
تَمَثَّلْهَا كَمَا تَعْبُرُ نَحْوَكَ ، حَيْثُ النُّورُ يَنْشُرُ قَمِيصَهُ :
إِنْ خَطَرَ لَكَ أَنَّ الْحَبَّ قَدْ خَذَلَكَ كَثِيرًا ،
وَأَنَّ مَا كَتَبْتَهُ الْحَبِيبَاتُ ، وَاحِدَةً تَلُو الْآخَرَى ، كَانَ مَجْرَدَ
مَزْحَةٍ .
إِنْ خَطَرَ لَكَ أَنَّ امْرَأَةً تَنْتَظِرُكَ .. هُنَاكَ ، لَمْ تُخْلَقْ بَعْدَ ،
فَهِيَ مَتَوَارِيَةٌ فِي مَا سَتَكْتُبُ مِنْ قِصَائِدٍ .
إِنْ آمَنْتَ بِأَنَّ هُنَاكَ مَا لَيْسَ هُنَاكَ ،
وَأَنَّ الْمَاضِيَّ وَالْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلَ
قَدْ رَكَبُوا دَرَجَاتِهِمُ الْهَوَانِيَّةَ ، عَائِدِينَ ، خَجَلًا مِنْكَ ، إِلَى
الْوَرَاءِ .
إِنْ هَزَمْتَ الْمَوْتَ بِأَنْ مَشَيْتَ عَلَى جَمْرِ حَبَالِهِ ،
وَتَحَسَّسْتَ أَلَمَهُ ، وَهُوَ يَتَلَوَّى بَيْنَ عَزَلَتِكَ وَصِرْحَتِكَ ،
وَحِيدًا .

.....
.....
الخ

أغنية الليل تحت عدسة مكبرة

اصطدته فيما أنا أكتب .
كثيرا كمنثُ له في القروح ، في العبارات ، وفي
مفارق الطرق ، عندما تعوي المدنُ من شدة الألم ،
فيما الذنابُ ، في فواصل الجسد ، تلحسُ عظامَ
فكرتي عنه ، لكنه يفر من مدى الإشارة ، ثم يختفي
مثلما جاء ، ساحبا خلفه حزمة من خنادق حفرتها
لاصطياده ، وشراكا ، هي قصائد تعكسُ قارئها ، وقد
تعفنَ في مرايا الأمل .

كنتُ مُبعثرا قبل ذلك : أطيحُ بالشجنِ ، أمدُ يدي في
الجهات ، أجرُّ الهواءَ من ياقته ، وأشدُّ العاصفةَ من
شعرها ، لاعتقا الجروح التي شاركتني العيشَ
مكشوفاً ، تحت عدسة مكبرة : غاضبا غاضبا
أشربُ العالمَ بعينين معصوبتين ، وأتقيأ كل شيء ،
دمعة بعد دمعة .

مع ذلك كنتُ مشرقا ، كما ولد عاشق يكتبُ زوارقه
الورقية ، على نهرٍ من الأسفار ، بين دفاتر الأغنية ،
وفي بحة الفجر . كما أنني كنتُ حانيا على الغابة ،
أفركُ صدا ذاكرتها : أكشطُ الزئير ، و أفرشُ لضيوفِها
سريِرَ الطمانينة ، بالرغم من القتال العنيف بين نفسي
وبيني ، لأنَّ الكمانن التي نصبُّها كثيرة ، ولأنني كثيرا

ما وقعتُ فيها .

وهاهو الآن في غرفتي ، مجردًا ، حتى من ظلامه ،
فيما الزمنُ يجري كعادته ، تاركًا لنا ، نحن الاثنين
فرصة عادلة للانقضاء على بعض . كنتُ واثقًا أنَّه
هو وليس نسخة مزوَّرة ، كتلك التي طاردها في
الحروب التي خضتها دون طائل ، فسحبتُ له كرسيًا
من حديقة القصيدة ، وأجلسته .

غنيتُ له : يا ليل ، يا ليل

يا ليل

يا ليل

كم ناديتُكَ يا ليل ؟

كم أنشدتُ ، تحت مظلات حرابك :

ألا يا أيها الليل الطويل ،

يا ليل :

أنت يا ليل

يا مَنْ تفر من الليل إلى الليل

يا مَنْ تنقل الليل إلى الليل ، يا ليل ..

إلا انجلي بصبح

ولم تنجلي ، ولو مرة ، يا ليل ؟

كان غنائي نواحا ، كان بكاء ، كان صراخا ، كان ..

حتى رأيتُ أنَّ النجوم ، على كتفيه ، قد بدأتُ بالثغاء ،

كما أن القصيدة قد اكتظتُ بحشرجات القتلى ،

فمزقتُها ، ورفسته .

هكذا تركته يتلوى وحيدا ، في الغرفة ، وخرجتُ

لأثنايب .

كتاب النبوات

أقرضني الافلاسُ بعضَ خواطره ، فاصطحبتُ
الشاطيء ، وتسوّلتُ من قميصه موجة ، بزرقتهَا غسّلتُ
رأسي من الصحراء ، نظّفتُ جيوبي من الأسلحة ،
وتوسّدتها ونمتُ .

في منامي سمعتُ أصوات قطارات . فوق احد
القطارات رأيتُ نفسي بصحبة جنود يغرسون الأرق
حول رؤوسهم ، وهم نيام .

أنا خارج السرب ، أنظرُ الى الليل ، وفمي في الهواء
يقتفي اثر قبلة ، لكن القطارات تنحرفُ صوب شلال ،
الجنودُ يرمون خوذهم الى مجراه ، ثم يرفعونها الى
أفواههم ، فيجدونها مليئةً بالدم .

لم ارفع خوذتي . تركتها طافية وهبطتُ ، فرأيتني ماشيا
بصحبة مهزّب ، قايضته بندقيتي بعلبة تبغ : بحضوره
دخّنتُ أيامي سيجارة بعد اخرى . في المرة الاخيرة فيما
دخان سيجارتي يتصاعد فوق ، ويؤلف هناك سماءا ،
بلادا ، ورايية ، تدخلتُ مخيلتي : ارسلتُ الى السماء
بغيمة ، زرعتُ جنديا فوق الرايية ، أما البلاد فتوجّجتني
ملكا .

أنا الان ملكٌ : بلادي جرباء ، وغيمتها الوحيدة لا تمطر
. أمرها بالانصراف ، لاتنصرف . اضربها بتاجي ،
فتتكسر ، ثم .. تنفد سيجارتي ، فأسحب نفسا أخيرا :

أسحبُ البلاد والسماء والرابية ، أتركُ الجندي مغروسا
في الفراغ . أتخيله يركض في الاتجاهات ، باسطا
ذراعيه كيما يتلقف تاجي ، لكنني افاجئه ، في دخان
سيجارة اخرى ، يهز مهذا . في المهد أجدُ جثتي .

طالبتَه بها ، فصاح :

- " إذهب .

إذهب ، يامن سوّدتَ بالسخام حياتك .
إذهب ، ودعني أهدهُ هذه الجثة ضد صحبة الاشباح ،
إذهب ، إذهب .. "

ثم ضربَ على صدري بقوة ، فسقطتُ بيننا ظلمة كثيفة
، يتمرغ فيها المرءُ ، بين أحشاء ذكرياته ، طلبا للنجاة ،
دون جدوى . داخل الظلمة وجدتني أتسلق جبلا ، عند
أحد سفوحه قابلتُ مجنونا يجر عربة بيد ، فيما يده
الاخري تحمل شعلة : في حوض العربة مدينة مغطاة
بقش ، أرفعه فأكتشفُ اناسا تستضيء الجدران
بهواجسهم . أحدهم فيها يغني اغنية من كتاب النبوات ،
رددتها القرون مرة بعد مرة :

- " وعندما يصل المجنون الى الذروة ، يضع الشعلة
داخل العربة ، ثم يركل العربة .. "

في مقطع آخر من منامي رايتُ ، في الوديان ، نفس
العربة . في حوضها رايتُ فلاسفة ، شعراء ، عشاق ،
صعاليك .. وهناك رجل يغطيهم بقش ، يدثرهم
بخواطر زائفة ، ثم يجر العربة بيد وفي يده الثانية
ترفرفُ شعلة .

يبتعدون وأنا أنظر الى نفسي بينهم ، أقرأ كتاب النبؤات ،
، واتعجب : كيف أنا بينهم ، وفي نفس الوقت كيف ، من
منامي ، أنظر اليهم ، حتى انتهت .

اغنية الكلب

ثمة كلب كان يحرسنا :

أحمق ، لكنه أسود .

وكان يركض أمامي حين أعود ، قادما من المتاهة ،
وغسق من الافلاس يظللني . يتشممني كما لو كنتُ اخفي
غنيمة تحت ثيابي : يلحس حذائي العريق الاصول
بالغبار ، ثم يتسلفني ، يلف ذيله حول رقبتني ، وينبح
هامسا : " متى تتركني أعيش انسانا مثلك ، أو تنزع
عنك جلدك البشري ، فتكون كلبا مثلي : نهيم في بلاد
الله ، بعيدا عن علاقة العبد بالسيد ؟ " .

كان صديقا مدهشا : يخترق غرفتي ، من مسام الحائط ،
ويتجلى شبحا من الدخان ، يخلع عن المكتبة ثيابها برقة
، كما لو كانت امرأة ، يتشممها من كتاب الى كتاب ، ثم
يقفز فجأة ، يدخل اعماق الشمعة ، ويخرج قابضا بأنيابه
على فكرة الظلام .

أحيانا ، وهو يلحس صور كائنات ارسمها ملاذا لوحدي
، يرمقني بخبث : " أشم ذنابا في هذه الرائحة ، وهناك
صريير فئران " كان يهتف ، لكنه عندما ، آخر الليل ،
انتزع حنجرتي من مكانها ، وأهمس : " كفاك صمتا "
كان ينبح .

هل كان يعرف ؟

مرّات يظل ، خلف الباب ، جالسا : كان يزن فقري
بنظراته ، وهو يرى الى شحة العظام ، وبؤس المزبلة
، لذلك ، من اجل أن يجد طعامه بنفسه ، تركت له الباب
مفتوحا .

آخر صباح ، وأنا أخرج من البيت حاملا منفاي على
ظهري ، بقي مكانه ، ولم يحرك ساكنا ، فرأيت ، من
خلال عينيه الجامدتين ، العالم مفتوحا . كان يعرف أنني
خارج من حياته ، وأن عليه أن يخرج من حياتي .

هل فكّر بالانصراف ؟

هل بقي مربوطا بحبل الوفاء ؟

آه ،

هذا الحبل الذي يجرني الى الوراء ،

كلما هممت بخطوة .

الان ،

من هذا المكان الذي ينفجر فيه ينبوع هذه الاغنية ،

اسمغ نباحه منشورا على حبال الكون ، وأبكي .

أغنية الريشة

اغنية اخرى الى سركون بولص

في بداية الأغنية يخرج رجلٌ من بيته ، باحثاً عن شيء . على ضوء المغامرة الذي يضيء له الطريق ، سيقطع مسافاتٍ أطول من حاجته الثمينة : أثقل حتى من خطواته التي تحقّق للخرائط شخصيتها ، وللغبار كينونته ، إذ يلتصق على وجهه ، كالقناع .

في نهاية الأغنية ، ودون أن يعرف ، يجد الرجلُ نفسه ، أخيراً ، في نفس البيت ، وجهها لوجه مع الشيء الذي خرج باحثاً عنه طوال حياته : يتقدم نحوه ، ومع كل خطوة يشتد ضوء الحاجة إليه ، لينير أعماقاً لم يرها تشع يوماً : ذكرى صديق ، امرأة ، ترنيمة سقطت كما نيزك من مجرة الذاكرة ، وتآكلت في الطريق نحو مصيرها ، لكن شكاً ما يداخله : أه ..ربما ، ربما رأى كل خطوة من رحلته الطويلة هذه في منام ، ربما خاضها يوماً وهو يسمع الى اغنية

تركها منشورة على حبال حنجرة الماضي الصوتية ، متجنباً كل طرق الوقوع في شرك ريحها ، هو الريشة .

مشيئٌ وحيدا في العالم

الى حسين علي يونس

حين سقطتُ إنهارَ سقْفُ العالم ، ولم أتحطم ، لكنني
خسرتُ عزلتي .
صار مُؤكّداً ذلك .
صار مُؤكّداً أنّ العزلةَ عزَلتني من ألعابها .

انثُرعتُ مثل ماءٍ من قطرةٍ ، ولمّا دخلوا القطرةَ ،
ووجدوني داخلها ، أَلعبُ مع القطرةَ ، أغلقوا القطرةَ .
أيقنتُ أنّ حصتي من الفرح قد وصلتُ آخرها ، فشربتُ
القطرةَ حتى آخر قطرةٍ ، وغنيتُ : كيف تُفصل القطرة
عن الماء ؟

أسكرني أنّي ماءٌ لا يجد في صحنه قطرةً ، فرقصتُ
طويلا ، حتى فاضتُ رقصتي عن الرقص ، وفاضَ
التنورُ ، فرأيتُ القطرةَ قطراتٍ ، وفي كل قطرةٍ أنا الماءُ
والقطرةُ ، لكنني ، في ذروة الرقصِ ، سقطتُ كما
فانوس من برجٍ ، ولدى ارتطامي بالليل فاضتُ ، على
الإسفلتِ ، حياتي .

ماذا أفعلُ بهذا الشيء ؟

أطبقتُ أجفاني على آخر قطرةٍ دمع ، لأنني أدركتُ أن
خواتري ، هي الأخرى ، قد انثُهكتُ ،

ثم
مشيئُ
وحيدا في العالم .

طبعة جديدة من رنتي السياب المثقوبتين

لأنني لم أجد كرسيًا ، لا في زنانتني ولا في حريتي ،
أجلسُ واقفا في اللامكان ، وعينا تطوفان حول خراب
البصرة ، مثل شبح يعرف أين يجدد خواطره .
في رأسي هيكلٌ عظمي ، يكسوه السكرُ بدلة الطير ،
فيحلق بعيدا ، ناقلا بمنقاره خطة محكمة لجرجرة الليل
من ياقته ، وتثبيته عنوة تحت عدسة مكبرة ، لكن
السياب يخطر امامي ، فجأة ، وهو يجلس القرفصاء في
اسطورة أزقته ، قابضا الى صدره طبعة جديدة من
رنتيه المثقوبتين ،
فيما قرينتان من النمل تسيلان مع دموعه على خديه ،
فارتدُّ الى الوراء ، كمن طاشت له إطلاقة ثم وجد أنها
نابتة في قلبه .

مَنْ يخبر أهلي – وقد نجوتُ من المهالك – أن هولَ
البقاء ناجيا أصعب ؟
مَنْ يخبرهم أنني أحوم حول خراب البصرة ، معلقا
سترتي على أصابع الليل ، مثل شبح يعرف أين يجدد
خواطره ؟

زهرة عباد الشمس

من الشاشة تخرجُ امرأةٌ ظلتُ ، طوال الفلم ، تبحثُ عن رجل ذهب الى الحرب ، ولم يعد . على زجاج نوافذ قطارات ، أفلتُ جنودا فيما مضى ، كتبتُ له رسائل حب ، لم تصله قط ، ففي كل محطة هناك امرأةٌ تكتبُ رسائلها على زجاج النوافذ أيضا ، الى أن تعطلتُ الحربُ ، وتوقفتُ القطاراتُ .

المُخرج والقدرُ تأمرا عليها ، فقد أعدا لها أناسا لا يجيدون سوى تحريك رؤوسهم : هاهي تسيل في صحن ذكرياتها مثل دمعة . هاهي تدخن أحلامها ، ثم تسعل فتريق السراب : إنها أكثر وحشية من طفل يسمع ، في المرأة ، زقزقة المطر . إنها أكثر نحولا من عود الثقاب ، مع ذلك فهي تشتعل : هاهي تقطع الشوارع ، جيئةً وذهابا ، رافعة صورته ، هاهي ..

وعندما يبستُ التفتتُ الى الصالة ، نحونا : نحن الذين كنا ننظر الى امرأة طردتُ الليلَ ومباهجه .

تصفحتُ وجوهنا واحدا واحدا ، وعند وجهي توقفتُ : خرجتُ من الشاشة مذعورة ، وصاحت بي بلوعة : أنت هنا ، وأنا أبحث عن اسمك في قوائم القتلى ؟!

نزهة بين عيني بومة صادق هدايت العمياء*

الى قاسم حميد فنجان :
زميلي في تلك النزهة

١

ارتديتُ بدلتِي المنسوجة من العظام والجلد . أسرجتُ
الفانوسَ ،
وخرجتُ أطلبُ من تطلبه نفسي .
عند آخر حاجز ، تحرسه بومة صادق هدايت العمياء ،
انبثقتُ من الظلام يدٌ ، هي تؤام الغصن ،
قدمتُ لي وردةً ،
خبأتها بين أضلاعي ، التي نخرتها الأرضة في
السجون ،
وتساءلتُ :
كم على غصن الوردة أن يكون غليظا ، ليحتمل رحيقها
جرّ الحبل ؟

٢

مربوطة بحبل أحلامها ،
رأيتُ امرأة الوردة في ساحة الإعدام ، ساعة شنفها ،
وأناس من أماكن عدة يتقدمون نحوها بالدور ،
ويرجمونها بالحجارة ، لكنها

لم تكن تحرك ساكناً :
ذلك مما كان يزيدنا بهاء وفتنة .

٣

موجياً بأني صدقت ارتكابها الخيانة العظمى ،
دخلت الموكب مع الناس ،
ولما صرت بحضرتها تلثم الفانوس ،
فحسبت أنها قد ماتت ،
لكنني حين رميتها ، فجأة ، بالوردة ، ارتعشت :
أه ،
لقد جرحتنني أيها العاشق .

٤

أدخلت غرفتي مترعاً بحضرة الإنسان ، فألتحم بعزلتي
وبالعالم :
دائماً دائماً
دائماً ثمة مصلوب ، ودائماً في الطريق وردة .

غنّ
غنّ ياذا القروح ،
غنّ
ترنم بما أنت أهله .

* اليومة العمياء : رواية قصيرة للروائي الإيراني المنتحر عام
١٩٥٦ صادق هدايت .
عبارة : " لقد جرحتني أيها العاشق " منسوبة ، في احد روايات
الصوفية ، الى الحلاج ، قالها عندما رماه ابو بكر الشبلي بوردة ،
ساعة صلبه .

ساحر من ألف ليلة وليلة

قال : " إن الليل ، هذه الليلة ، مؤاتيا للمعجزات " وهو يرش ، على صفحة الريح ، كمشة من الرمل ، فتجلت شيئا فشيئا امرأة مقمرة ، كتلك التي تخرج من رحم المعجزات ، واخذت تركض بين الارواح المنشورة على المصاطب ، الارصفة ، وبين الاسلاك الكهربائية الملتفة حول أعناق الساحات ، وخلفها ثمة رجل انبثق من بطون الحكايات ، كان يعدو بسرعة ، وهو يجر حبلا طويلا ، ربط الى نهايته جثته ، التي مزقتها الكلاب في الأزقة ، ثم غاب الاثنان في كثافة عريهما ، فلم اسمع بعد ذلك الا صيحة البرق دون أن اراه .

قال : " ألم أقل لك إن الليل ، هذه الليلة ، مؤاتيا للمعجزات ! " ثم نفخ في الاتجاهات ، وهو يتمتم بعبارات غامضة ، اضاءت الخطوات بين البعد والمسافة ، فرأيت المرأة والرجل واضحين ، وهما يُشعلان الخرائب بنيران موقدهما ، حتى هبَّ نسيمُ الامان قادمًا من اللامكان ، فنزلت الارواح من على حبال الغسيل باحثة ، في شقوق شيخوخة الجدران ، عن أبدانها ، لكن ذلك كله توقف فجأة ، عندما زعق البرقُ ثانية ، ورأيته واضحا ، يسقط على الجسدين الملتحمين فيحيلهما ترابا ، فيما الأرواح تعود ، صاعدة ، بحبل من الدخان ، الى أسلاك عزلتها .

الحكاية انتهت ليس كما هو متوقع ، فقد تبدل مزاجُ
الساحر ، وفقد قدرته على المشي فوق حبل خرافته ، فلم
يعد يفعل شيئاً سوى التحديق بالرمل ، والبكاء ، لأنه -
كما قال - لم يكن قد خطط لظهور البرق مرة أخرى ،
لكنها القنابل والحرب .

أخذ نَفْساً عميقاً من لفافة الحشيشة التي أشعلتها من أجله
، ثم عانقني بعرفان ، وهو يسحبني بدخانها نحو الأعرق
: " تعال لأريك ما أنا قادر عليه فعلاً " حتى توارينا معا
بين طيات كتاب الف ليلة وليلة ، الذي استعرتُ صديقي
الساحر هذا من إحدى حكاياته :

- " يبدو ان الليل ، عندكم ، لم يعد مؤاتياً للمعجزات " -
ظل يردد هذه العبارة على مسامعي ، طوال طريقنا نحو
بغداد أخرى ، منسية في قيعان ذلك الكتاب .

اغنية خاتم سليمان

في تلك الساعة التي تطيرُ فيها الصخرةُ والريشةُ ،
انتظرتَ أن يُنجزَ الخادمُ المخبوءُ في خاتم سليمان
مهمته ، فتفتح عينيكَ ، بعد جملتين غامضتين
وقصيرتين ، لتجد نفسك في مدينة اخرى .
لم يكن هناك مهرب من هذا الطيران بين المنافي إلا
بالسحر ، حيث الترياق أجنحة للتخليق ، والجرعة
الواحدة منه تذكرة للسفر في الدخان .
- هناك امرأة تنتظرك ، عارية ، عند البحر ..
يقول المهربُ ، وهو يهبط نحو القرية لإستدعاء امرأة
الخاتم ، فتأخذك النشوة الى البحر ، تقودك الى حيث
المرأة تبسم ، عارية ، بانتظارك ، فيما الشرطُ في
الخارج ، يتقدمها الخادم شخصيا ، سيفتحون الكهف
الذي لجأت اليه ، في تلك الساعة التي تطير فيها حتى
الصخرة والريشة ، إلا أنت .

اغنية عقيل علي

خسرت كما ينبغي لخاسر أن يخسر ، ولم تندم ، لكنك
بكيت لأن الخسارة ، بحد ذاتها ، لم تكن كما ينبغي
لخاسر أن يخسر ، رغم أنك اخذت جرعة صافية من
الألم .

ذلك مما وهج شمس الآهة ، لكنه مما جعل الصبح
متعذرا ، فألمك كان أشد من أن يؤلم ، وأكتف من أن
يسطع ، لأن جرعه كانت مركزة جدا .
ذلك مما أوقعك في قعر كل صيحة ، ولم تخرج الا بعد
أن اغتسلت من العافية ، وتطهرت من الصحو . لم
تخرج الا بعد أن نظفت من درن الطمأنينة ، وارتديت
الخوف .

هكذا نسجت رايتك ، ومضيت :

ما مررت بقرية إلا وتبعث شحوبك الصبايا الجميلات .
ما وطأت مدينة إلا وجمع المجانين التراب ، من تحت
اقدامك ، وصعق الصعاليك من هيبه الافلاس في
جيوبك .

ما دخلت غابة إلا وهشت إليك عصافيرها ،
وبنت اعشاشها بين عينيك .

ما قطعت مسافة إلا وكانت الاقاصي قادمة نحوك .

من قرن الى قرن ، مثل شبح غامض خرجت من الكتب
والقصائد والمخطوطات القديمة ، يتبعك الرعد والغيم
والهامش الساقط من يد المتن : تنتظر منك الامهات ،

عند المساء ، أن تعيد أزواجهن أو ابنائهن الضائعين في
الحروب والفنادق ، والحانات ، والبلدان ، والنساء ،
والبحار ، وأنت تسير الى الامام :
عينك شرارتان ، كما قالت النبؤات ، وآيتك أن اسمك
عقيل علي عجيل ، كما اتفق المفسرون ، إذا ذكره
الجائع هبط عليه الخبز حارا من سماء لم يخلقها رب ،
ولم تعش تحتها الا الرؤوس المكتظة بهواجس الطيران
، كالحمام .

كنت أشجع من كل ما قرأت أو تعلمت ، مما قيل أو يقال
، فمضيت رافعا رأسك المجنون عاليا ، غير عابيء
بالطقس والنار والاسلاك ، مرددا اغنية حار في
تفسيرها الشيطان ، وذهل من نورها الملاك ، وهما
يحفانك بالحنان من فوق ومن تحت ، ومن خلف ومن
أمام ، حتى وصلت الى الحد الذي تنكسر فيه كل راية ،
فالتفت ملقيا على ماضيك نظرة اخيرة :

راعك ما رأيت من بشر حاملين أرواحهم ، قاطعين
المسافات ، يرددون أناشيد القتال ورائك ، فتسائلت
مندهشا ، عبر ضجة الخيول والطبول وقعقة السيوف :

ما بال هؤلاء ؟

لماذا يتبعون واحدا مثلي ، دون العالم ؟

إلا يرون رايتي البيضاء ؟

كيف يسبرون خلف شاعر أخذ جر عته من الالم كاملة ،
واكتفى ؟

ماذا يريدون من كوكب ضاق ذرعا بالدوران حول
الشمس ،

ويريد الان أن يدور ويدور ويدور حول نفسه ،
وحيدا ، كما الشمل ؟

وحيدا ، كما الشمل : عبارة شعرية ، كان عقيل يرددھا دائما .